من تراب الطريق (٤٢٨) الزبالة من تاني !(*)

قبل عدة أشهر ، عندما تفشت أكوام الزبالة فى كل ربع من ربوع العاصمة ، وضج الناس من المناظر المنفرة ، والروائح الكريهة ، والدلالة الصافعة للأداء الحكومى والإدارى والشعبى والإنسانى .. عند ذلك تمنطقت الحكومة ، وأصدرت وعدًا كبيرًا بالقضاء على أكوام الزبالة بكل أنواعها ، وفى كل مكان ، خلال مدة وعدت أن تكون فى حدود ثلاثة أشهر لا تزيد .

يومها صَدَقَت الحكومة فى تنفيذ وعدها ، وكان لذلك أمارات وعلامات دلت على بذل جميع الأجهزة المختصة هِمَّةً ظاهرة لافتة ملحوظة ، وكان آية ذلك أنه قبيل انتهاء المدة المحددة ، اختفت أكوام الزبالة من القاهرة .

معنى ذلك أننا نملك الإمكانيات ، وأننا قادرون حين نريد ، وأن الفارق هو فقط فى العزيمة والهمة والجدية والنشاط .. ليس فقط بدليل ما أنجز فى شهور ثلاثة ؛ بل أيضا بدليل عودة «ريمة» لعادتها القديمة فور وهن العزيمة وانفراط الهمة وتدنى الجدية وزوال النشاط .. فقد عادت الآن وفى فترة وجيزة أكوام الزبالة تملأ ربوع القاهرة من تانى ، بمناظرها الكئيبة ، وتلالها التى أخذت تعلو وتعلو ، ورائحتها الكريهة الفواحة بالنتانة والخباثة مع تلال الجراثيم والحشرات والزواحف . لم ينج من هذه المناظر أرقى أحياء القاهرة ، إلاّ أن يكون الموضع مجاورًا لسكن أحد الكبراء !!

(*) المال ١/ ٤/ ٢٠١٠ .

على الميدان الذى أقطن به فى المهندسين ، مستشفى الصفا ، والمبنى الكبير الملحق بها ، وبرج ألفاسكان الطبى ، وملحقه الضخم ، وأحد الفنادق الكبرى الحائز على تقدير أربعة نجوم ، وإحدى الكنائس الكبرى التى تملأ ببنيانها القشيب وزخارفها عين الشمس ، فضلًا عن عدد من العمائر التى تطاول عنان السماء ، ومع ذلك فقد امتلأت أركان الميدان الذى تقع فى وسطه حديقة مستطيلة مهملة طالت حشائشها وامتلأت هى الأخرى بالقطط والثعابين والزواحف ؛ لأن أحدًا لا يرعاها أو يشذبها ، وكانت النتيجة أن هذا الميدان الرحب المزين بهذه العمائر والمستشفيات الفخمة ، والفندق ذى الأربعة نجوم ، والكنيسة التى يرتادها المصلون والعابدون والزوار ، وتقام فيها الأفراح إلى جوار العزاءات ، فضلا عن القداس الذى يقام فى مواعيده .. هذا الميدان الكبير قد تحول إلى «مزبلة» متعددة الأكوام ، فيها كل مكروه منتن خبيث عفن شائه من تلال الزبالة التى طال العهد بأكوامها ، وجعلت تزداد يومًا بعد يوم ، دون أن ينزحها أو يرفعها أحد .. ويضطر العابر أمام أحدها ، ولا بد للعابرين من المرور عليها ، يضطر إلى سد أنفه حتى يجتاز المباءة ، ولكنه لا يستطيع أن يغلق عينيه ، وإلاّ اصطدم بكل أنواع الأحجار والنتوءات والحفر والمطبات التى تملأ الميدان !

لو كان هذا المنظر فريدًا فى ميادين القاهرة ، لما سطرت هذه الكلمات .. ليس على أى مسئول بكل حىّ من أحياء القاهرة الكبرى ، إلا أن يترك مكتبه المكيف يوما ، وأن يتفضل بركوب سيارته ، والتجوال بشوارع وميادين ونواصى الحىّ ، وسوف يرى ما لا عين رأت ، ويشم ما لا أنف شمت ،

وسيروّع بما لم يخطر بتاتا على قلب أى بشر !

ولو لم تكن الإدارة المصرية قد نجحت حين أرادت فى إزالة أكوام الزبالة التى كانت قد ملأت جنبات القاهرة ، لما أثقلت عليها بهذه الكلمات . الداعى المبرر لإعادة الكلام من تانى ، أنه قد قامت الحجج على أننا نملك الإمكانيات والقدرات البشرية والميكانيكية والأوعية والأجهزة وأدوات النزح والرفع والنظافة والأيدى العاملة ، وأننا قادرون على تنظيف بلادنا حين نريد ونضع العزيمة والهمة والجدية والنشاط إلى جوار الإرادة .

العتاب إذن علينا .. أننا نغضى عمّا فى إمكاننا ، ونهمل إمكانياتنا ، ونتجاهل قدراتنا ، ونقصر فى القيام بواجباتنا ، وأننا صرنا مدمنين للقذارة ، نصنعها ، ونفرزها ، ونمارسها ، ونعاود إفرازها ، ونتعامل ونتماس معها دون أن يتحرك فينا ساكن . مع أن الأديان ـ إسلاما ومسيحية ـ تأمر بالنظافة ، ومع أن الإسلام يأمر بإماطة الأذى عن الطريق ، ومع أن النماذج الأخلاقية المطبوعة على الكراسات منذ أن كنا طلابًا فى المدارس الابتدائية والثانوية مسطور على ظهر غلافها : إن النظافة من الإيمان .

فهل ترانا قد هجرنا الإيمان بدوره ، وصرنا نستطعم ما بتنا فيه من قذارة جددت وسوف تجدد المزيد ومزيد المزيد من أكوام الزبالة .. من تانى ؟!!!

*****